الرسالة

(أعمال الرسل ٥: ١٢–٢٠)

في تلك الأيامِ جَرَت على أيدي الرسلِ آياتٌ وعجائبُ كثيرةٌ في الشعب. وكانوا كلّهم بنفسٍ واحدةٍ في رواقِ سليمان* ولم يكن أحدٌ من الآخرين يجترئُ أن يُخالِطَهم. لكن كان الشعبُ يُعظِّمهم* وكان جماعاتٌ من رجالٍ ونساءٍ ينضمُّونَ بكثرةٍ مؤمنينَ بالرب* حتى إنَّ الناسَ كانوا يخرجونَ بالمرضى إلى الشوارعِ ويضعونَهم على فُرُشٍ وأسِرَّةٍ ليقعَ ولو ظِلُّ بُطرسَ عند اجتيازهِ على بعضٍ منهم* وكان يجتمع أيضاً إلى أورشليمَ جمهورُ المدنِ التي حولها يحمِلون مرضى ومعذَّبينَ من أرواحٍ نجسة. فكانوا يُشْفَون جميعُهم* فقام رئيسُ الكهنةِ وكلُّ الذين معه وهم من شيعةِ الصَّدوقيينَ وامتلأوا غَيرةً* فألقَوا أيديَهم على الرسُلِ

الرسول توما

إنّه السابع ترتيبًا بين التلاميذ الإثنَي عشر الأطهار. هو المكنّى بالـ«توأم»، وأغلب الظنّ أنّه ابن عائلة صيّادين من الجليل. ثمّة تقليد تاريخيّ يشير إلى أنّ الرسول توما هو نفسه غلام قائد المئة الذي شفاه السيّد (مت ٨: ٥–١٣). يظهر توما، كرسول، في إنجيل يوحنّا، من خلال ثلاثة مواقف. الأوّل في الإصحاح الحادي عشر، عندما أراد السيّد الذهاب إلى اليهوديّة من أجل لعازر، فاعترضه التلاميذ قائلين: «يا معلّم، الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك، وتذهب أيضًا إلى هناك؟ (...) فقال لهم يسوع حينئذٍ علانية لعازر مات. وأنا أفرح لأجلكم أنّي لم أكن هناك، لتؤمنوا. ولكن لنذهب إليه»، للوقت أجاب توما مخاطبًا التلاميذ «لنذهب نحن أيضًا لنموت معه» (١١: ٧–١٦). تعتلن في هذا الموقف ثلاثة أوجه من شخصيّة الرسول: حماسته في اتّباع المعلّم بلا سؤال أو تردّد، شوقه إلى معاينة أعمال الله على يديّ المعلّم، وكونه إنسانَ قلبٍ تحرّكه العاطفةُ لا العقل؛ من هنا وقفتُه العفويّة الحماسيّة هذه.

الموقف الثاني في مطلع الإصحاح الرابع عشر، حيث يقول السيّد لتلاميذه: «تعلمون أين أنا أذهب وتعلمون الطريق»، فيسأل الرسول توما، بالعفويّة والبساطة نفسيهما: «يا سيّد، لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟» (١٤: ٣–٥). هنا أيضًا، نرى الرسول توما «بسيطًا»في مقاربته للأمور، إذا جاز التعبير. الكلمة، بالنسبة إليه، تعني ما تشير إليه، أمّا التأويل والتحليل فلا شأن له بهما، حتّى لو بدا للآخرين قليل الفهم أو بطيء الإدراك. لا نظنّ أنّه وحده بين التلاميذ لم يفهم كلام السيّد، الغامض غالبًا، لكن لعلّه الوحيد الذي لم يخجل من السؤال والإستيضاح. نراه، هنا، إنسانًا بلا تعقيدات، يسأل حتّى لو اضطرّ إلى مقاطعة المعلّم وإزعاج السامعين. همّه ألاّ يمرّ كلام المعلّم مرور الكرام.

أمّا الموقف الثالث، وهو أكثر ما اشتهر به الرسول توما، ففي الإصحاح العشرين من إنجيل يوحنا، حين دخل يسوع القائم من

العدد ٢٠١٩/١٨

الأحد ٥ أيار

الأحد الجديد (أحد توما)

تذكار العظيمة في الشهيدات إيريني

اللحن الأول

الموت على تلاميذه حيث كانوا مجتمعين خوفًا من اليهود، وأراهم جراحه وباركهم، ولم يكن توما معهم. لمّا جاء توما، وأخبروه بما حدث، انتفض بحدّة مشترطًا أن يعاين جراح السيّد ويلمسها لكي يؤمن. إذا قاربنا موقفه الحادّ هذا سطحيًّا، نميل إلى اعتباره شكًّا. أمّا آباؤنا القدّيسون، مثل أمبروسيوس أسقف ميلان وكيرللّس الإسكندريّ، فيفسّرون هذا الموقف بـ«عَتَبٍ» على السيّد، آتٍ من عمق الحبّ الذي يكنّه الرسول لمعلّمه، ومن طبيعة شخصيّته. هذا، إضافةً إلى شوقه للإنتقال بالإيمان من مستوى السماع إلى مستوى المعاينة، أي الإختبار الشخصيّ. لم يشكّك الرسول توما بقدرة السيّد على القيامة من الموت، لكن الضعف البشريّ القادر أن يؤدّي بالإنسان إلى الإنخداع دفعه إلى التساؤل. كم بالحري في مسألة بالغة الدقّة كهذه؟ ألم تواجه العذراء مريم الملاك الحامل إليها البشارة بما يشبه تشكيك توما؟ (راجع لو ١: ٢٦–٣٨). خافت العذراء من أن يكون ما تراه تخيّلًا خادعًا من الشرّير، فاستجوبت الملاك، إذا جاز التعبير. توما قام بالمثل، ولعلّه تذكّر أيضًا كيف كان رفاقه التلاميذ يؤثرون عدم الفهم على جرأة السؤال والإستيضاح.

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ كُثُرًا من آبائنا القدّيسين قالوا إنّ المسيح الدجّال قادر أن يظهر بمظهر المسيح، وحتّى أن ينتحل تعاليمه، لكنّه لا يستطيع البتّة أن ينتحل محبّته الظاهرة في جراحه التي هي علامات محبّته وقوّته وفدائه. هذا ما طلب الرسول توما معاينته، ولو بما يشبه العتب بسبب عمق محبّته للسيّد أوّلًا، وثانيًا بسبب حماسه وعفويّته. لعلّ السيّد العارف أعماق النفوس، لا سيّما نفوس أخصّائه، اختار الظهور أوّلاً للتلاميذ من دون توما، تاركًا له بعض الوقت ليتأمّل بما حملته إليه شهادة التلاميذ، قبل أن يعود بعد ثمانية أيّام، وهذه المرّة خصّيصًا من أجل توما. لا يشير النصّ الإنجيليّ إلى أنّ توما لامس جراح السيّد فعلاً، بل نفهم أنّه فور اللّقاء بالسيّد هتف: «ربّي وإلهي». لم يكن هذا اللّقاء من أجل توما، بل من أجل كلّ مؤمن بالمسيح عبر الأزمان. المسيحيّ، في كلّ زمان ومكان، مدعوّ إلى التعمّق في الإيمان المنتقل إليه بالبشارة، وإلى أن تكون لديه حماسة توما وبساطته وعفويّته في طلب الفهم، كيلا يمرّ تعليم السيّد مرور الكرام، وصولًا إلى الإختبار الشخصيّ لسرّ محبّة السيّد وقوّته وفدائه. حينئذٍ، فقط، يصبح قادرًا أن يدعو السيد بصدق: «ربّي وإلهي».

الإنجيلي يوحنا

في تقليدنا الأرثوذكسي إنّ كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا الإنجيلي الذي كان تلميذاً مباشراً ليسوع. هو يوحنا بن زبدى، أخو يعقوب، من بيت صيدا الجليل. يخبرنا عنهما الإنجيلي متّى أنّهما كانا صيّاديّ سمك تركا أباهما وتبعا الرب يسوع بينما كانا يصلحان شباك الصيد.

لقد كان يوحنا أصغر التلاميذ الإثني عشر، ومعلومٌ انّه هو الذي اتّكأ على صدر السيّد حين العشاء. إشتعلت في قلب يوحنا محبّة الرب

وجعلوهم في السجن العامّ* ففتح ملاكُ الربِّ أبوابَ السِّجنِ ليلاً وأخرجهم وقال* أمضُوا وقِفوا في الهيكلِ وكلّموا الشعبَ بجميعِ كلماتِ هذه الحياةِ.

الإنجيل

(يوحنا ٢٠: ١٩–٣١)

لما كانت عشيَّةُ ذلك اليومِ وهو أولُ الأسبوعِ والأبوابُ مُغلقةٌ حيث كان التلاميذُ مجتمعَين خوفاً من اليهود جاء يسوعُ ووقف في الوسْطِ* وقال لهم السلامُ لكم* فلما قال هذا أراهُم يديهِ وجنبَه. ففرح التلاميذُ حين أبصروا الربَّ* وقال لهم ثانيةً السلامُ لكم كما أرسلني الآبُ كذلك أنا أرسلُكم* ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم خُذوا الروحَ القدس* مَن غفَرتم خطاياهم تُغفَر لهم ومن أمسكتم خطاياهم أُمسِكَتْ* أما توما أحدُ الإثنَيْ عَشَرَ الذي يقالُ له التوأم فلم يكن معهم حين جاءَ يسوع* فقال له التلاميذُ الآخرونَ إنَّنا قد رأينا الربَّ. فقال لهم إن لم أعايِنْ أثَرَ المسامير في يديهِ وأضع

إصبعي في أثر المسامير وأضَعْ يدي في جنبهِ لا أؤمن* وبعد ثمانيةِ أيامٍ كان تلاميذهُ أيضاً داخلاً وتوما معهم فأتى يسوعُ والأبوابُ مُغلَقةٌ ووقفَ في الوسْط وقال السلامُ لكم* ثم قال لتوما: هات إصبعك إلى ههنا وعاين يديَّ وهاتِ يدك وَضَعْها في جنبي ولا تكنْ غيرَ مؤمنٍ بل مؤمناً* أجاب توما وقال له: ربّي وإلهي* قال له يسوع: لأنكَ رأيتَني آمنتَ، طوبى للذين لم يَرَوا وآمنوا* وآياتٍ أُخَرَ كثيرةً صنع يسوعُ أمام تلاميذه لم تُكتَب في هذا الكتاب. وأمّا هذه فقد كُتبت لتؤمنوا بأنَّ يسوع هو المسيحُ ابنُ الله. ولكي تكونَ لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه.

تأمل

مغبوطٌ هو ذاك الذي عرف كيف يستعيد نفسه بعد سقطته، لأنّ القيامة بعد الموت إنّما هي أيضاً امتياز المغبوطين من جهة أخرى، يمكننا أن نفهم أيضاً كيف يمكن للخطيئة أن تكون نافعةً وكيف أمكن أن تتسرّب بعض فكان أن التصق بالرب يسوع وما عاد يفارقه. لقد كان الوحيد بين التلاميذ الذي تبع الرب يسوع حتّى الصليب.وهو التلميذ الذي أوكل إليه الرب يسوع العناية بأمّه العذراء مريم، «هوذا أمّك» (يو ١٩: ٢٦).

يرمز التقليد إلى الإنجيلي يوحنا بالنسر. هو الذي حلّق في سماء اللاهوت وسبق الجميع في التعبير عن صفات الله وإعلان مجده. كذلك هو أوّل شخص أُطلق عليه لقب «لاهوتيّ» إذ ارتقى في المعرفة الإلهيّة كما يعلو النسر أعلى السموات. وقد شكّلت مقدّمة إنجيله تعبيراً لاهوتيّاً سامياً تشرح ولادة الإبن الازليّة من الآب.

إضافةً إلى الإنجيل الرابع، كتب يوحنا ثلاث رسائل تندرج ضمن الرسائل السبع الجامعة الواردة في الكتاب المقدّس إلى جانب رسائل بولس الرسول. ذلك بالإضافة إلى سفر الرؤيا آخر أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدّس. هذا السفر الذي كتبه من منفاه في جزيرة بطمس.

سفر رؤيا يوحنا كان ولا يزال من الأسفار الأكثر جدليّة وأصعبها فهماً بين أسفار العهد الجديد. هذا السفر ليس غريباً عن المجتمع اليهودي القديم الذي وُجّه إليه هذا الكتاب. فالأدب الرؤيوي كان واسع الإنتشار في ذلك الزمن. هذا الأدب الذي تلى الأدب النبويّ والأسفار النبويّة مع انتهاء زمن الأنبياء بقدوم الرب يسوع. نجد صدى هذا الأدب في صرخة يوحنا المعمدان في البريّة، حين نادى بما هو غير منظور وغير مدرَك. لقد أثار يوحنا بندائه إهتمام الشعب فخرجوا إليه. وقد نجح يوحنا في إيصال رسالته التحذيريّة عن الدهر الآتي والأخرويّات. هذه الرسالة نفسها يخبرنا عنها الإنجيلي يوحنا في سفره عن الرؤيا حيث يصوّر لنا ما سيحدث في اليوم الأخير. إنّ النقطة المحوريّة أو المركزيّة بحسب سفر الرؤيا هي «الخروف المذبوح» الذي هو الأوّل والآخر (١: ١٧)، هو المسيح القائم من بين الأموات. هو الذي يصوّره سفر الرؤيا في الإصحاحين الرابع والخامس جالساً على العرش السماوي يمسك بيده اليمنى «سفراً مكتوباً من داخل، ومن وراء مختوماً بسبعة أختام» (٥: ١). لم يكن أحدٌ مستحقّاً أن يفتح السفر إلى أن أتى الحمل المذبوح. هو «الأسد من سبط يهوذا».

الجدير ذكره أنّ هذا السفر هو «رؤيا» كما يخبرنا العنوان وقد تلقّاها يوحنا من الرب الذي أمره أن يدوّنها ويرسلها إلى الكنائس السبع. ويمكن أن نقسم هذا السفر إلى سبعة أقسام رئيسيّة. يتحدّث أوّلًا عن الرسائل السبع التي تختصّ ببعض المشاكل الخاصّة بكلّ كنيسة، ولكنّ موضوع هذه الرسائل يصلح لكلّ كنيسة ولكلّ جماعة. أمّا القسم الثاني فيتحدّث عن الأختام السبعة التي تُفتح تدريجيّاً وفي نهايتها تحدث زلزلة عظيمة. القسم الثالث يحدّثنا عن الأبواق السبعة. هذه الأبواق التي تسبق إعلان غلبة الله على قوى الشرّير. القسم الرابع يحدّث عن اضطهاد الكنيسة (الإصحاحين ١٢-١٣). إلاّ أنّ قوى الشرّ تُهزم أمام قوى الخير وملائكة الله. القسم الخامس يخبرنا عن

الجامات السبع الذهبيّة حيث يقوم سبعة ملائكة بسكب جاماتٍ، تحوي غضب الله، على الأرض. القسم السادس يوصلنا إلى انتصار المسيّا على الشيطان حيث يُرمى الشيطان في بحيرة النار، ومن هنا يأتي تصويرنا للعذاب بأنّه بحرٌ من نار. أمّا القسم السابع والأخير فيتحدّث عن عالم الله الجديد. في هذا العالم تتمّ دينونة البشر، ويشدِّد يوحنا على أنّ هذا الزمن بات قريباً.

أمام كلّ هذه الكتابات التي تركها لنا يوحنا الرسول، نفهم السبب وراء إطلاق لقب لاهوتي عليه. هو أوّل لاهوتيّي الكنيسة في العالم. هو الذي دعاه الرب يسوع يوماً إبن الرعد، دوّت كلماته في أرجاء المسكونة. في يوم الفصح، اليوم الذي تتجدَّد فيه الخليقة بأسرها، يُقرأ الفصل الأول من إنجيل يوحنا في القداس الإلهي، وذلك لنقول أنّ هذا الذي نحتفل بقيامته من بين الأموات ليس سوى ذاك الذي كان في البدء كان قبل كلّ شيء. هو الذي كان عند الله وهو الله وبه كوّن كلّ شيء. وقد رقد الإنجيلي يوحنا في سنٍّ متقدّمة لذلك يقال عنه أيضاً «يوحنا الشيخ» في كثير من المراجع. تعيّد الكنيسة الأرثوذكسيّة المقدّسة له في الثامن من شهر أيّار في ذكرى رقاده.

من أقوال الآباء

«لم تطلبن الحيّ بين الأموات؟ إنه ليس ههنا، لكنّه قد قام» (لو ٢٤: ٥–٦).

ذلك أنّ كلمة الله حيّ على الدوام، وهو حياةٌ بطبعه. ولكنِ، حين أخلى ذاته متواضعاً، واستسلم ليكون مصنوعاً مثلنا، تذوق الموت. بيد أن ذلك ثد أثبت موت الموت، لأنه نهض من الأموات، ليكون الطريق الذي بواسطته نرجع نحن بالأحرى إلى عدم الفساد لا هو. ولا يطلبنّه أحد، هو الحيّ دوماً، بين الأموات، لأنه ليس ههنا، أي في القبر. ولكن أين هو؟ في السماء ببساطة، في المجد الإلهي. ولكي يوطد الملاكان (لو ٢٤: ٤–٨) إيمان النسوة بهذه الأمور على نحو أشدّ رسوخاً، أعادا إلى أذهانهنّ ما قاله المسيح، أنّه ينبغي له أن يُسلم إلى أيدي الخطأة ويتألم، وأن يقوم في اليوم الثالث.

القديس كيرلّس الإسكندري

منشورات

صدرت عن دار Berytus، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت الطبعة الثانية المنقّحة من كتاب «أمسية في برّية الجبل المقدس آثوس: حوار مع ناسك حول الصلاة».

يُطلب الكتاب من دار المطرانية ومن مكتبة الرجاء وسائر كنائس الأبرشية.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

الآثام إلى القدّيسين، بعناية الربّ. فقد كانوا معروضين في الواقع لأجل اقتدائنا بهم، لذلك كان الاعتناء بأن يسقطوا هم أنفسهم أحياناً. إذ لو كانوا قد أتمّوا شوطهم عبر كافة مزالق هذا العالم من دون مصادفة الخطيئة لأُعطيت لنا، نحن الأضعف، حجّةٌ للإعتقاد بأنّهم قد خُصُّوا بطبيعةٍ ساميةٍ وإلهيّةٍ تجعلهم عاجزين عن قبول الخطيئة فيهم وعن اشتراكهم في الإثم. هذا التفكير يصرفنا عن اقتداءٍ مستحيل، بداعي اعتقادنا أنّا محرومون من جوهرٍ كهذا. إذاً، نعمة الله تخلّت عنهم وقتاً قصيراً، حتى تُضحي حياتهم بالنسبة إلينا حَثًّا على الإقتداء بهم وحتى نستخلص من أفعالهم درساً في البراءة كما في التوبة. وعليه، فعندما أقرأ رواية سقطاتهم أتعلّم أنّهم مشتركون هم أيضاً في عاهتي، وإذ أعتقدهم كذلك، أستنتج ضرورة الإقتداء بهم.

القديس